مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

نماذج من أنساق العلامة في سينيَّة ابن زيدون
دراسة سيميائية من منظور آراء تشارلز ساندرز بيرس

د. أحمد سليمان علي*

(تاريخ الإيداع ١١/٢٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٢/١٧ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يتناول البحثُ سينيّة الشاعر الأندلسي **ابن زيدون** من منظور سيميائي بيرسي، مُرَكِّزاً على دراسة العلامات، وكيفية اشتغالها، ضمن أنساق دلالية متكاملة تنتظم في فضاء النص، وينطلق من مبدأ التَّعامل مع النَّصِّ الشِّعريِّ بوصفه فضاءً تتفاعل فيه العلامات، وعلاقاتها الدينامية، لتكوين المعنى المنتظم ضمن مسارات تجربة الشاعر الذاتية، فيستعرض البحث الأنساق المركزية في السينيّة، مع تحليل تداخل العلامات الأيقونية، والمؤشرية، والرمزية، ورصد طريقة إنتاج المعنى في ضوء السيموزيز البيرسي؛ أي العملية التي يتحقق فيها الفهم عن طريق تفاعل العلامة مع مفسّرها، ربطاً بالسياقات النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، بهدف إعادة بناء تصور معقد لتقلبات الزمن، والمحنة الإنسانية، وتحويلها إلى معانٍ متجددة، ومتعددة الأبعاد.

يتيح البحثُ، من منظور سيميائي، نقل تصور النص الشعري من الناحية الفنِّيَّة، والجماليَّة، إلى ناحية أخرى تعمل فيها العلامة، ضمن حقول دلالية، بوصفها أداة تأويلية دينامية، قادرة على إنتاج المعنى عبر تفاعل مستمر بين العناصر النصية، والذهنية، ومن هنا، يبرز البحث إمكانات تطبيق السيميائية البيرسية على التراث الشعري العربي القديم، في إعادة قراءة النصوص الشعرية بطريقة تُمكِّنُ من كشف عمق العلاقات الدلالية، وفهم الانسجام بين التجربة الفردية للشاعر، والبنية الرمزية للنص.

الكلمات المفتاحية: سيميائية، بيرس، العلامة، السيموزيز، ابن زيدون، السينيَّة.

*حاصل على شهادة دراسات عليا (دكتوراه) - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة اللاذقية - سورية - عنوان الإقامة: طرطوس، حي الفقاسة، دوار الفندارة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

samples of Sign Configurations in Ibn Zaydun's Siniyyah: A semiotic reading from the perspective ofCharles Sanders Peirce's Views.

*** D.R. Ahmad Suliman Ali**

(Received 25/11 /2025. 17 /2/2026)

□ ABSTRACT□

This study examines the Siniyyah of the Andalusian poet Ibn Zaydun from a Peircean semiotic perspective, focusing on the analysis of signs and their functioning within integrated semiotic configurations that are organized across the textual space. The research is based on the principle of treating the poetic text as a dynamic field in which signs interact and relate to one another, shaping meaning in accordance with the poet's subjective experience. The study identifies the central configurations within the Siniyyah, analyzing the interplay of iconic, indexical, and symbolic signs, and tracing the process of meaning production in light of Peirce's semiosis—the process through which understanding emerges from the interaction between a sign and its interpreter—while linking it to psychological, social, and historical contexts. This approach aims to reconstruct a complex vision of temporal fluctuations and human tribulations, transforming them into renewed, multidimensional meanings.

From a semiotic perspective, this study enables a shift in understanding the poetic text from purely artistic and aesthetic aspects to the semantic fields in which the sign functions as a dynamic interpretive tool capable of generating meaning through continuous interaction between textual and cognitive elements. Thus, the study highlights the potential of applying Peircean semiotics to classical Arabic poetry, offering a method for rereading texts that reveals the depth of their semiotic relations and facilitates an understanding of the harmony between the poet's individual experience and the symbolic structure of the text.

Keywords: Semiotics, Peirce, Sign, Semiosis, Ibn Zaydun, Siniyyah.

***** postgraduate degree (PhD) - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University - Syria - Residence address: Tartous, Al-Faqasa neighborhood, Al-Fandara roundabout.

مقدِّمة

شهدت الدراسات النقدية الحديثة تحوّلاً نوعياً في مقاربتها النصوص الأدبية، تمثّل في الانتقال من القراءة الانطباعية أو الوصفية إلى القراءات المنهجية التي تنظر إلى النَّصِّ بوصفه بنية دلالية مركّبة، تنتظم داخلها العلامات أو الأسس القوليَّة في علاقات منتجة للمعنى، وفي هذا السياق، برزت السيميائية، وانشغلت بدراسة العلامات، وأنساقها، وآليات اشتغالها داخل الخطاب، وسعيها إلى الكشف عن طرائق إنتاج الدلالة، وأتاح ذلك التعرُّف على أدوات تحليلية جديدة، ومن بين المنظّرين الذين أسهموا إسهاماً عميقاً في تأسيس هذا الحقل المعرفي وتطويره، يبرز اسم الفيلسوف والمنطقي الأمريكي **تشارلز ساندرز بيرس(ت: ١٩١٤م)**، الذي قدّم تصوّراً شاملاً للعلامة، لا يقتصر على بُعدها اللغوي؛ بل يتجاوز ذلك إلى النظر إليها بوصفها فعلاً تأويلياً دينامياً منفتحاً على اللانهائي.

أعاد **بيرس** تعريف العلامة ضمن إطار ثلاثي الأبعاد: **المصورة، والموضوع، والمفسِّرة**، وربطها بمفهوم **السيموزيز**؛ أي السيرورة الدلالية التي تتولد فيها المعاني عبر تفاعل العلامات، وتأويلها المستمر، وبهذا التصور، انتقلت السيميائية من كونها علماً يصف العلامات إلى علم يدرس كيفية اشتغالها، وتحولها، وقدرتها على إنتاج معانٍ جديدة تبعاً للسياق، والمتلقي، وشروط التداول، وقد مكّن هذا المنظور البيرسي الباحثين من مقاربة النصوص الأدبية، بوصفها أنظمة علاماتية مفتوحة، لا تستنفد دلالتها في قراءة واحدة، بل تظل قابلة لإعادة التأويل عبر الزمن، وفي هذا السياق، تمثل سينيّة الشاعر الأندلسي **ابن زيدون(ت: ٤٦٣هـ- ١٠٧١م)**، التي نظمها في محنة السجن، نموذجاً شعرياً مهمًّاً، تنتظم داخله العلامات في أنساق دلالية متشابكة تعبّر عن تجربة وجودية مركّبة، يتداخل فيها الزمان بالمكان، والذات بالعالم، والمحنة بالأمل، ومن هنا، جاء اختيار هذه القصيدة موضوعاً للدراسة؛ إذ يمكن أن نقول: إنَّها تُمَثِّلُ خطاباً شعرياً تتجلى فيه العلامة بوصفها فعلاً تأويلياً يعكس تحوّلات الذات الشاعرة، وصراعها مع الدهر، والواقع.

ينهض البحثُ على مقاربة **سينيّة ابن زيدون** عن طريق تحليل أنساق العلامة، انطلاقاً من التصور البيرسي للعلامة والسيموزيز، فيُنظر إلى النسق، هنا، بوصفه شبكة من العلامات المتآزرة التي تنتج المعنى عبر علاقاتها الداخلية، ويأتي اعتماد هذا المسار الدَّرسي اقتناعاً بأنَّ تحليل الأنساق العلاماتية يتيح فهماً أعمق للبنية الدلالية للقصيدة، ويكشف عن الكيفية التي تتحول بها التجربة الفردية إلى بنية رمزية مفتوحة، تتقاطع فيها الأبعاد النفسية، والاجتماعية، والطبيعية، والقيمية، بما ينسجم مع الرؤية السيميائية البيرسية؛ التي ترى في العلامة عملية متجددة.

أهمية البحث وأهدافه

تنبع أهمية البحث من كونه يسعى إلى مقاربة نصٍّ شعريٍّ عربيٍّ قديمٍ مقاربةً سيميائيةً حديثة، تنفتح على منجزات الفكر السيميائي الحديث، ولا سيما التصور البيرسي للعلامة، والسيرورة الدلالية، بما يتيح إعادة قراءة **سينيّة ابن زيدون** قراءة تتجاوز الشروح البلاغية، والتاريخية التقليدية، نحو تحليل اشتغال العلامة داخل بنية النص بوصفها فعلاً تأويلياً منتجاً للمعنى، فيكتسب هذا المسعى أهميته من القِلَّة النسبية للدراسات التطبيقية التي توظّف السيميائية البيرسية في تحليل الشعر الأندلسي، على الرغم من غناه بالعلامات، والرموز، والأنساق الدلالية المركّبة.

وتتجلّى خصوصيَّة البحث في اعتماده مفهوم **أنساق العلامة** مدخلاً إجرائياً للتحليل؛ إذ لا يتعامل مع العلامة بوصفها وحدة معزولة، وإنَّما ينظر إليها ضمن شبكات دلالية متفاعلة تنتظم داخل النص، وتُسهم في إنتاج المعنى عبر علاقاتها الأيقونية، والمؤشِّرية، والرمزية، ومن شأن هذا المنظور أن يكشف عن العمق الدلالي الموجود، وأن يُبرز خصوصية تجربة الشاعر في السجن، حيث تتحول المحنة الفردية إلى بنية علاماتية مفتوحة تتقاطع فيها الأبعاد الزمنية، والمكانية، والطبيعية، والاجتماعية.

ويسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

- الكشف عن طبيعة العلامة في القصيدة، وكيفية اشتغالها ضمن أنساق دلالية متكاملة في ضوء التصور السيميائي البيرسي.
- إبراز فاعلية مفهوم السيموزيز **السيرورة الدلالية** في تحليل النص الشعري، وتولُّد المعاني في القصيدة عبر التفاعل المستمر بين المصورة، والموضوع، والمفسِّرة.
- تحليل الأنساق العلاماتية المركزية في السينيّة؛ خصوصاً نسق الدهر، ونسق السجن والطبيعة، ونسق العلاقات البشرية، وبيان دورها في تشكيل الرؤية الشعرية، وتجسيد التجربة الوجودية للشاعر.

الدِّراسات السابقة

تنوَّعت الدِّراسات التي عالجت النصوص الأدبيَّة، من وجهة نظر السيميائية، وأصولها التحليلية، ويوجد عدد من البحوث التي طبَّقت منظور **بيرس** على النصوص المدروسة، ويمكن أن تشكِّل خلفيَّةً لهذا البحث، بيد أنَّها دراستنا تحاول معالجة النصِّ الشعري الأندلسي المقصود، ضمن مجال محايدٍ نوعاً ما؛ هو الأنساق، وهي موازية لمفهوم الأنماط، وليست مسايرة له، ومن هذه الدراسات:

ديانا، ديفي نور، تحليل سيميائي في قصيدة شيخ عبد الوهاب حسب الله للشيخ زلفى مصطفى (دراسة تحليلية سيميائية عن تشارلز ساندرز بيرس)، كلية أصول الدين والأدب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة كياهي الحاج أحمد صديق، جمبر، أندونيسيا، ٢٠٢٥م.

يحلل البحثُ بنية السيميائيات في القصيدة بناء على نظرية **بيرس** في العلامات، وركزت أسئلة البحث على العلامات الموجودة، وتحليلها بهدف الكشف عن رسائلها اعتماداً على المنهج الوصفي النوعي بمقاربة إثنوغرافية، وتحليل سيميائي وفق نموذج **بيرس**، وقد تمحورت الدراسة على الرسائل القيمية، والتعاليم الواردة في القصيدة التي ركزت على موضوعات السند العلمي، وتعظيم العلماء، وتعزيز الهوية المعهدية.

زارعي، حبيبة_ وآخرون، دراسة سيميائية في قصيدة "كلمات للوطن لتوفيق زياد على ضوء نظرية بيرس، مجلة إضاءات نقدية ، س٩، ع ٣٦ ، آزاد ، ٢٠١٩م.

ركَّزت الدراسة على تصنيف العلامات إلى أيقونية، ومؤشِّرية، ورمزية، وتحليل آليات الدلالة في القصيدة المذكورة، وتُعد هذه الدراسة الأقرب من حيث المرجعية النظرية إلى البحث الحالي؛ لما تعتمده من تصور بيرسي للعلامة، بيد أنّها تظلّ محصورة في تحليل نماذج علامية محددة، ولا تتوسع في دراسة الأنساق الدلالية الكبرى، أو في ربط العلامة بالسياق النفسي، والتاريخي للتجربة الشعرية.

عبد الباري، نجلاء عبد التواب، السيميائية وتحليل النصوص الأدبية- مستخلص من رسالة ماجستير بعنوان: ديوان بشر بن أبي خازم، دراسة سيميائية، مجلة كلية دار العلوم، ع٥٩، مج٥٩ ، الفيوم، ٢٠٢١م.

تسعى الدراسة إلى الكشف عن مكنونات النص عن طريق الوصول إلى معنى المعنى في البنية العميقة للنصوص الأدبية، عبر العلامات، والإشارات، والرموز، كذلك سعت إلى الكشف عن أنماط العلامات، ودورها في إنتاج المعنى الشعري، وتكمن أهمية هذه الدراسة في إرسائها تطبيقاً سيميائياً واضح المعالم على نص شعري تراثي، وهو ما يلتقي مع توجه البحث الحالي في مقاربة نص كلاسيكي بمنهج حديث، بيد أنّ الدراسة تميل إلى التحليل الجزئي للعلامات، ولا تتجه بوضوح إلى دراسة الأنساق العلاماتية بوصفها بنى دلالية متفاعلة داخل النص.

عبد الكريم، هيام، دور السيميائية اللغوية في تحليل النصوص الشعرية؛ شعر البردوني نموذجاً، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن ، ٢٠٠١م.

يدخل الكتاب في دائرة اهتمام المتخصصين في مجال اللغة العربية بوجه خاص، والباحثين في الموضوعات ذات الصلة بوجه عام؛ إذ يعمل، نقدياً، ضمن نطاق تخصص علوم اللغة، ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى، مثل الشعر، والقواعد اللغوية، والأدب، والبلاغة، والآداب العربية، وركز البحث على دراسة العلامة اللغوية، ومستويات الدلالة داخل النص، ويفيد البحثُ دراستَنا من حيث تأكيده قدرة السيميائية على تجاوز القراءة البلاغية التقليدية نحو تفكيك البنية الدلالية للنص الشعري، بيد أنّ اعتمادها على السيميائية اللغوية يجعل مقاربتها أقرب إلى الاتجاه السوسيري، من دون الإفادة الموسّعة من التصور البيرسي للعلامة، وسيرورتها التأويلية.

مسلمي محمود– بناه، سيد أحمد موسوي، دراسة سيميائية لقصيدة قفا نبك للشاعر عز الدين المناصرة على ضوء آراء تشارلز بيرس، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع ٤٢، مج ١٦، ٢٠٢٥م.

طبَّقت الدراسة آراء بيرس في التحليل السيميائي على القصيدة بهدف الكشف عن البنية العلاماتية فيها، وما تحمله من دلالات تتصل بالموروث الجاهلي، ومقارباته الدلالية المرتبطة بالمنفى الفلسطيني، ومأساة النكبة، كذلك الشبكة الرمزية التي تقوم على الخراب، والاغتراب، والهوية، والانتماء، وقد انصبَّ تركيز الدراسة على العلامات التي تخدم المسار البحثي العام، ولم يجمعها في أنساق مترابطة تسلسلياً.

في ضوء ما قدّمته الدراسات السيميائية السابقة من قراءات للنصّ الشعري العربي، تأتي هذه الدراسة محاولةً لتوسيع أفق التحليل، والقراءة، عبر مقاربة سينيّة **ابن زيدون** وفق منظور سيميائي بيرسي، يركّز على تحليل **أنساق العلامة** داخل البنية الشعرية.

منهجية البحث

يعتمدُ البحث المنهج الوصفي؛ لما يتيحه من إمكانات في وصف الظواهر النصية، وتحليل مكوّناتها، والكشف عن العلاقات التي تنتظم بينها، من دون فرض أحكام مسبقة، أو نماذج تفسيرية جاهزة، وقد جرى توظيف هذا المنهج في دراسة القصيدة بوصفها خطاباً شعرياً قائماً على شبكة من العلامات المتفاعلة، التي تتطلب وصفاً دقيقاً لها، ولآليات اشتغالها داخل النص، فاستعان البحث بالأدوات الإجرائية للسيميائية، وفق التصور الذي قدّمه **تشارلز ساندرز بيرس**، بهدف تحليل البنية العلاماتية للقصيدة، وتحرّي آليات إنتاج المعنى فيها، فتمثّل ذلك في وصف العلامات الشعرية الواردة في القصيدة، ورصد تكرارها، وتحليل انتظامها ضمن أنساق دلالية كبرى، ثم تفسير دلالاتها في ضوء السياق النفسي، والاجتماعي، والتاريخي لتجربة الشاعر، وبذلك، يجمع المنهج المتبع بين الوصف الدقيق للنص الشعري، والتحليل السيميائي التأويلي، بما يتيح فهماً أعمق للقصيدة.

مفهوم السيميائية

تسهمُ معرفة السيميائية في فتح معابر البحث أمام الفكر النقدي، وفق الطريقة التي تحفِّزه على النَّظر إلى الظاهرة الأدبية، أو الاجتماعية بعمق، ولم يزل الإنسان، منذ فجر التاريخ، يستنطق العلامات المحيطة به، بحثاً عن المعنى؛ بمعنى أنَّه يصطنع الدلالات، ويقرؤها بترجمة الرموز التي تحملها، لذلك فإنَّ المعالجة السيميائية تبرز التوجه التوسعي لآليات المنهجية السيميائية في مجالات النشاط الثقافي البشري على اختلاف مستوياتها.

تُشتَقُّ كلمة السيميائية في العربية من الجذر اللغوي (س و م). ورد في لسان العرب : "السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوَّم الفرس: جعل عليها السيمة"[١]، وقال الفراهيدي: " والسيما ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة التي يعرف فيها الخير والشر في الإنسان.."[٢].

أمَّا السيميائية، والسيميولوجيا، فهما ممَّا يمكن القول فيهما: المقابل العربي لكلمة la Sémiotique الفرنسية، المشتقة من الكلمة اليونانية Sémeion التي تعني Signe أي العلامة، وإذا رجعنا إلى اللغة الفرنسية فإنَّنا نجد مصطلحين اثنين متشابهين، هما: la Sémiotique , و la Sémiologie ، ويطلق كل منهما على علم العلامات الذي اشتهر في إرساء دعائمه عالمان اثنان، هما: فرديناند دي سوسير، وتشارلز ساندرز بيرس[٣] ، ثم أقام صرحه مجموعة من العلماء يأتي في مقدمتهم (ألجدراس جوليان غريماس، وتزفيتان تودوروف، ورولان بارث، ويوري لوتمان، وأمبرطو إيكو، وجوليا كريستيفا) خصوصاً بعدما خرجت مجلة سيميوتيكا Sémiotica إلى النور[٤].

برزت السيميائية، بمسمَّاها العلمي، في عصر ما بعد الحداثة، بوصفها ردة فعل على المناهج الحداثية، خصوصاً البنيوية، التي اعتمدت مبدأ المحايثة، واتسمت بالانغلاق، فأقصت كل ما هو خارج العلامة، وهذا ما ترفضه السيميائية التي تنفتح إلى ما وراء العلامة[٥]، ويعود الفضل في إبراز هذا العلم إلى عالمين اثنين هما: عالم اللسانيات السويسري **فردناند دي سوسير**، الذي بشر بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم **السميولوجيا**، ستكون مهمته دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، والفيلسوف الأمريكي **تشارلز ساندرز بيرس**، الذي دعا الناس إلى تبني رؤية منطقية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني[٦] ، وقد أطلق بعضهم على هذه الرؤية **السميوطيقا**، وفرَّق **بيرس** بين فروع هذه السيميائيات؛ فأشار إلى الفرع الأول الذي هو النحو النظري (الخالص)، ووظيفته البحث في ما يجعل المصورة التي بستخدمها كل فكر علمي قادر على تجسيد معنى ما، والفرع الثاني هو المنطق الصرف، ويبحث في حقائق شبه ضرورية عن مصورات الفكر العلمي التي تجعلها تصلح لموضوعه، والثالث هو البلاغة الخالصة ووظيفتها البحث في القوانين التي تجعل كل علامة في الفكر العلمي مولدة لعلامة أخرى، أو كيف تولد كلُّ خاطرة خاطرةً أخرى[٧].

إذن، السيميائية هي العلم الذي يدرس العلامات، وعمليات الدلالة، ويسعى إلى فهم كيفية استخدام العلامات لتمثيل الأفكار، والمفهومات، والرسائل، وتوصيلها عبر تحليل أنواع العلامات المختلفة، ومن هنا، تساعدنا السيميائية على فهم اللغة والتواصل بشكل أفضل في مجالات متنوعة؛ مثل اللغويات، والتواصل، والفن، والثقافة، والمجتمع.

موضوع السيميائية

ارتبط مصطلح **السميولوجيا** Semiology عند الأوربيين بالعالم **سوسير**، ومنهجه ذي الاتجاه اللغوي اللساني، فركَّز على أنَّ موضوع اللسانيَّات الوحيد هو اللغة بذاتها، ولأجل ذاتها وكان يرى أنَّ هذا العلم سيكون جزءاً من علم

---

[١] ابن منظور، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت،١٩٧٥م، ج١٢، مادة سوم.

[٢] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ***العين***، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، القاهرة، د.ت، ج٧، مادة سوم.

[٣] ينظر: بنكَراد، سعيد ، ***السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس***، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط١ ص ١١.

[٤] أنشئت هذه المجلَّة في عام ١٩٦٩م، وكان من أعضائها (ألخيرداس جوليان غريماس، رومان ياكوبسون، جوليا كريستيفا، إميل بنفينيست، أندريه مارتينيه، رولان بارت، أومبرتو إكو، توماس سيبيوك، ويوري لوتمان)، ونشرتها فالتر ده غرويتر.

[٥] ينظر: المهوس، عبد الرحمن، ***السميولوجيا (الجذور، المفاهيم، الامتدادات)***، كتب مؤلفين، ٢٠١٦م، ص١٣.

[٦] ينظر: علي، أحمد الشيخ، ***الأسس المعرفية للسيمياء- بحث في التأصيل، سلسلة دراسات سيميائية***، دار دجلة الأكاديمية ، بغداد ، ٢٠١٩م، ٢٠١٩م، ص٩.

[٧] ينظر: بيرس، تشارلز ساندرس، ***تصنيف العلامات***، تر: فريال جبوري غزول، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة- مدخل إلى السيموطيقا، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص١٣٨-١٣٩.

النفس العام، كما أنَّه قصر دراسته داخل المجال الاجتماعي[١]، أمَّا مصطلح **السميوطيقا**Semiotics فيرتبط بمنهج **بيرس** ذي الصبغة المنطقية الفلسفية، وقد عدَّ **بيرس** أنَّ هذا العلم حاكم على كل العلوم، وأنَّه لا ينظر إلى الرياضيات، والأخلاق، والاقتصاد، والتاريخ إلا من زاوية سيميوطيقية، وهو، أي السيميوطيقا، المصطلح الذي أقرته الجمعية الدولية للسيميوطيقا بباريس عام ١٩٦٩م، وقد نقل **تشارلز ساندرز بيرس** الاهتمام بالمنهج الكلي، والدور المميز في تشكيله، إلى مجال المعاني؛ إذ كان رياضياً، وفلكياً، وكيميائياً، ومولعاً باللغة والأدب، وتتكون الدلالة لديه من معلومات تجريبية، وقواعد تشكيلية لايمكن أن تدرس إلَّا على أنَّها نظام **سيميولوجي**[٢].

وعليه، يمكن استنتاج توجُّه السيميائية إلى تحويل العلوم الإنسانية، خصوصاً اللغة، والأدب، والفن، من تأملات وانطباعات وحسب، إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة، ويتم لها ذلك عند التوصل إلى مستوى من التجريد يسهل معه تصنيف مادة الظاهرة phenomenon ، ووصفها عن طريق أنساق من العلاقات، تكشف عن الأبنية العميقة التي تنطوي عليها، ويمكنّها هذا التجريد من استخلاص القوانين التي تتحكم في هذه المادة؛ إذ إنَّ الاصطلاح المركزي في السيميائية هو العلامة، ويعنى بها على مستويين: الأول أنطولوجي يُعنى بماهية العلامة، ووجودها، وطبيعتها، وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها، والتي تختلف عنها، والثاني هو مستوى تداولي **براغماتي** يُعْنَى بفاعلية العلامة، وبتوظيفها في الحياة العملية، ومن منطق هذا التقسيم اتجهت السيميائية في اتجاهين لا يناقض أحدهما الآخر؛ فيحاول الأول، ومهَّد **بيرس** له، تحديد ماهية العلامة، ودراسة مقوماتها، ويركز الثاني على توظيف العلامة في عملية التواصل، ونقل المعلومات بالاعتماد على مقولات **سوسير**[٣].

يمكن القول: تنبع صعوبة تعريف السيميائية عن صعوبة تحديد موضوعها؛ فالسيميائيات لا تنفرد بموضوع خاص بها، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية، شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من سيرورة دلالية، وعليه، فكلُّ مظاهر الوجود اليومي للإنسان يمكن أن تشكل موضوعاً للسيميائيات، وتقسَّم السيميائية بحسب موضوعها إلى قسمين رئيسين[٤]:

-العلامات اللسانية: تُعَدُّ الوحدات الأساسة التي ينبني عليها النظام اللغوي، وتنقسم إلى علامات الكلام، وعلامات الكتابة.

- العلامات غير اللسانية، ترتبط بكل ما له دلالة تخصُّ الحواس الإنسانية، وهي الوسيلة الحتمية لأنظمة الإعلام؛ مثل التلفزة، والسينما، وشبكات التواصل الحديثة، وتنقسم إلى: العلامات الشمية، والعلامات اللمسية، والعلامات الذوقية، والعلامات الإشارية الحركية، والعلامات السمعية، والعلامات السمعية البصرية، والعلامات الأيقونية.

إسهام تشارلز ساندرز بيرس

أسس **بيرس** نظريته السيميوطيقية وفق نظرة ترى كلَّ ما في الكون علامات **سيميوطيقية**، وكيانات رمزية، يقول: "المنطق في معناه العام، ليس سوى تسمية أخرى للسيميائيات، تلك النظرية شبه الضرورية والشكلية للعلامات"[٥]،

[١] ينظر: مرتاض، عبد الجليل، ***دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث***، منشورات تالة، د.ط، ٢٠٠٥م، ص٨.
[٢] ينظر: جيرو، بيير، ***علم الإشارة السيميولوجيا***، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م، ص١٠.
[٣] ينظر: حنون، مبارك، ***دروس في السيميائيات***، دار توبقال للنشر- سلسلة توصيل المعرفة، الدار البيضاء- المغرب ، ط١، ١٩٨٧م، ص٣٨.
[٤] ينظر: توسان، برنار، ***ماهي السيميولوجيا؟***، دار إفريقيا الشرق، المغرب ، ٢٠١٦م، ص٢٨.

للعلامات"[١]، فكان تصوره للعلامة مدخلاً شاملاً للظواهر، عبر تنوُّعها، ومن هنا يمكن القول: إنَّ موضوع السيميائيات، وفق ذلك، هو"النسق السيميوطيقي، بوصفه نسقاً علاماتياً ترميزياً يتحقق بواسطته التواصل"[٢].

موضوع **السيميوطيقا** هو السيرورة الدلالية، أو **السيموسيز**، ويُعَدُّ **بيرس** أول من أدخل هذا المصطلح إلى حقل السيميائيات، وهذا ظاهر في قوله: " إنّي في حدود ما أعلم، رائد في العمل الهادف إلى إعداد حقل وفتحه، حقل أسميه بسيموطيقا؛ أي نظرية الطبيعة الجوهرية لكل سيميوزيس ممكن ونظرية تنويعاته الأساسية"[٣].

إنَّ التنويع في السياقات المرجعية، والأسس الأبستمولوجية لإنتاج العلامة، يؤدي، حتماً، إلى التنويع في مستوياتها في الخطاب، وبالتالي تحديد السيميوزيز Semiosis ؛ بمعنى (السيرورة التي يشتغل فيها شيء ما بوصفه علامة).

يعرِّف **بيرس** العلامة بأنها: "شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما"[٤]؛ أي هي تخلق في عقل الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطوراً، فتتدرج العلامة وفق مسمّيات أطلقها **بيرس** لتمثل الشكل الدلالي المتولد عن سمة الشيء، وتنوب عنه، ضمن صيرورة دلالية لها أبعاد فكرية متعددة الأطراف، ومراحلها هي:

-**المصورة**[٥] : representamen هي الحامل المادي للعلامة، ويمكننا التفكير في العلامة على أنَّها **الدال** عند **سوسير**، وهي إمَّا أن تكون كلمة مكتوبة، وإمَّا أن تكون كلاماً منطوقاً، أو دخاناً بوصفه علامة على النار، وما إلى ذلك.

-**المفسرة**[٦] interpretant: هي الصورة الذهنية للشيء المشار إليه وتقابل **المدلول** عند سوسير، يُنظر إلى المفسِّرَة، وهي السمة الأكثر ابتكاراً، وتميزاً في عمل **بيرس**، على أنها الفهم الذي لدينا لعلاقة العلامة – الموضوع، وتكمن أهمية المفسِّرَة لدى بيرس في أن الدلالة signification ليست علاقة ثنائية بسيطة بين العلامة والموضوع؛ فالعلامة تكون ذات دلالة فقط بكونها قابلة للتفسير، هذا ما يجعل المفسِّرَة مركزية لمحتوى العلامة، وعلى هذا، فإنَّ معنى العلامة يتبدى في التفسير الذي تولده لدى مستخدمي العلامة.

-**الموضوع**[٧] object: وهو المرجع أو الشيء المشار إليه في عالم الموجودات، فأفضل ما يُتصور عليه هو المدلول، على سبيل المثال، الموضوع الذي ترتبط به الكلمة المكتوبة أو المنطوقة، أو النار التي يدل عليها الدخان.

-**الركيزة**[٨] ground: وهي طريقة الإحالة التي تتجه إليها المصورة.

ولهذه العلامة أنواع[٩]:

-**الأيقونة** icon : وهي علامة تحيل على الشيء الذي نشير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها، والمبدأ المتحكم في هذه العلامة هو التشابه كالصور الفوتوغرافية.

---

[١] بيرس، ***كتابات عن العلامة***، دار سيول، باريس، ١٩٧٨م، ص ١٢٠، نقلاً عن: بنكَراد، سعيد ، *السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها*، منشورات الزمن، الرباط- المغرب ، ٢٠٠٣م، ص: ٥٨.

[٢] داسكال، مارسيلو ، ***الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة***، تر: حميد لحميداني -مبارك حنون وآخرون، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب ، ١٩٨٧م، ص: ٥.

[٣] بيرس، المجلد ٥، الفقرة ٤٨٨، نقلاً عن: داسكال، مارسيلو ، ***الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة***، ص: ١٦.

[٤] بيرس، تشارلز ساندرس، ***تصنيف العلامات***، تر: فريال جبوري غزول، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة- مدخل إلى السيموطيقا، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، ص٢٦.

[٥] المرجع السابق، ص٢٦- ٢٧.

[٦] المرجع السابق، ص ٢٧.

[٧] المرجع السابق، ص ٢٨.

[٨] المرجع السابق، ص ٢٩.

[٩] ينظر: زيادة، معن- وآخرون، ***الموسوعة الفلسفية العربية***، معهد الإنماء العربي، بيروت ، ١٩٨٨م، مج٢، ص ٤٥.
وينظر: رويلي، ميجان، ***دليل الناقد الأدبي***، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ٢٠٠٧م، ، ص١٨٠.

-**المؤشر** index : وهو علامة تحيل على الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع، والمبدأ المتحكم في هذه العلامة هو السببية؛ مثل الدخان علامةً للنار.

-**الرمز** symbol: وهو علامة تحيل على الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالباً ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة، والمبدأ المتحكم في هذه العلامة هو العرف والاصطلاح.

وانتهى **بيرس** في نهاية مطافه إلى تصنيف العلامات إلى ستة وستين نوعاً، ويظل التقسيم السابق هو الأكثر انتشاراً وفاعلية في مجال الدراسات السيميوطيقية.

وعليه، تدرس السيميائية، بحسب **بيرس**، العلامة ومنظومة العلامات؛ أي مجموعة العلامات التي انتظمت انتظاماً محدداً، وفقاً لأبعاد ثلاثة هي: بُعْد نظمي سياقي تركيبي يدرس الخصائص الداخلية في منظومة العلامات من دون أن ينظر في تفسيرها، وبُعْد دلالي يدرس علاقة العلامات بمدلولاتها، والعلاقة القائمة بين العلامة، وتفسيرها، وتأويلها، من دون النظر إلى من يتداولها، وبُعْد تداولي يدرس الصلة بين العلامة ومَن يتداولها؛ ويحدد قيمة هذه العلامة عن طريق مصلحة مَن يتداولها.

يُعَدُّ تصنيف **بيرس** للعلامات أداة قوية لفهم التعقيدات في عملية التواصل البشري، عن طريق تحليل الأيقونات، والمؤشرات، والرموز، ويمكننا أن نكتسب فهماً أعمق لكيفية عمل العلامات في نقل المعاني، وكيفية تأثيرها في التفاعل البشري، هذا الفهم يمكن أن يسهم في تحسين إستراتيجيات التواصل في مختلف المجالات، مما يعزز من فعالية الرسائل، ويزيد من وضوحها.

السيميائية عند **بيرس** واحدة من الأسس النظرية المهمة في دراسة العلامات، والرموز، وكيفية إنتاج المعاني، ويمكن القول: إن تأثيره في الدراسات الثقافية كان، وما يزال، عميقاً، وعن طريق تقديمه لمفهومات السيميائية، فإنَّه أتاح للباحثين أدوات تحليلية لفهم النصوص، والظواهر الثقافية، بطرق جديدة، وهذه المفهومات ما تزال تُستخدم حتى اليوم في تحليل الثقافة، والمجتمع، مما يبرز الأهمية المستمرة لإسهامات هذا الباحث في المجال.

أنساق العلامة وسينيَّة ابن زيدون

يمكن عدُّ **سينيّة ابن زيدون** فضاءً تنتظم داخله العلامات في أنساق دلالية متفاعلة، وهي قصيدة في خمسة وعشرين بيتاً، بعثها الشاعر من سجنه يخاطب فيها الوزير **أبا حفص بن برد** ، ويتحدَّث فيها عن فضله، والتزامه، وبراءته، وهي من النصوص المهمَّة التي ماهى فيها الشاعر بين أداء الطبيعة، وأداء الإنسان في الحياة.

يقصد بأنساق العلامة مجموع الشبكات العلاماتية التي تتكرر، وتتآزر داخل النص، وتنتظم وفق علاقات سيميائية تجمع بين الأيقوني، والمؤشِّري، والرمزي، بما يسمح بتوليد المعنى في ضوء السياق النفسي، والاجتماعي، والتاريخي للتجربة الشعرية.

تدرس السيميائية، عموماً، العلامة من حيث انتظامها داخل أنساق دلالية تتفاعل فيما بينها لتوليد المعنى، وقد أسّس **بيرس** تصوّره للسيميائية انطلاقاً من رؤية شمولية ترى أن كل ما في الكون قابل لأن يُدرَك بوصفه علامة، وأن العلامة لا تؤدي وظيفتها الدلالية إلَّا عبر سيرورة تأويلية متجددة أسماها **السيموزيز**، وهي العملية التي يشتغل فيها شيء ما بوصفه علامة تحيل على موضوعها عبر مفسِّرة تتولد في ذهن المتلقي[١]، وانطلاقاً من هذا التصور، لا تتحدد تتحدد دلالة العلامة بعلاقة ثنائية مغلقة بينها وبين موضوعها، بل بعلاقة ثلاثية دينامية تضم **المصوِّرة، والموضوع،**

[١] ينظر: بيرس، المجلد ٥، الفقرة ٤٨٨، نقلاً عن: داسكال، مارسيلو ، ***الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة***، ص: ١٦.

والمفسِّرة، الأمر الذي يجعل المعنى مفتوحاً على إمكانات تأويلية لا نهائية، تتجدّد بتجدّد السياقات التداولية والثقافية، ويترتب على ذلك أن العلامات لا تعمل منفردة داخل الخطاب، بل تنتظم ضمن **أنساق علاماتية**، يُقصد بها شبكات من العلامات المتكررة والمتآزرة، التي تقوم بينها علاقات تشابه، أو سببية، أو اصطلاح، فتُنتج بنية دلالية كلية يتجاوز معناها مجموع معاني العلامات الجزئية، فالنسق العلاماتي هو الإطار الذي تتحقق داخله فاعلية العلامة؛ إذ لا يمكن فهم العلامة إلا عبر موقعها داخل نظام من العلاقات يسمح بتعدد الدلالة وانفتاح التأويل، فتندرج العلامة وفق مسمّيات أطلقها **بيرس** لتمثل الشكل الدلالي المتولد عن سمة الشيء، وتنوب عنه ضمن صيرورة دلالية لها أبعاد فكرية متعددة الأطراف[١]، ولا تشتغل التصنيفات الثلاثية التي تحدثنا عنها منفصلة عن غيرها؛ بل يمكن أن نجدها تشتغل بحسب نوع العلامة[٢].

وفي ضوء هذا المنظور، يصبح النص الأدبي، ولا سيما النص الشعري، فضاءً سيميوطيقياً كثيفاً، تتقاطع فيه الأنساق العلاماتية، وتتداخل فيه الأيقونات، والمؤشرات، والرموز، لتكوِّن معاً بنية دلالية تعكس التجربة الشعورية والفكرية للشاعر، ومن هنا تتَّجه هذه الدراسة إلى مقاربة **سينيّة ابن زيدون** بوصفها نسقاً علاماتياً مركّباً، تنتظم داخله مجموعة من الأنساق الدلالية المتفاعلة؛ مثل نسق **الدهر والزمان**، ونسق **السجن والطَّبيعة**، ونسق **العلاقات الإنسانية**، وتُقارب هذه الأنساق في ضوء الرؤية البيرسية التي ترى العلامة فعلاً تأويلياً مفتوحاً، تتحول فيه المحنة الفردية إلى بنية دلالية عامة، تنتج معناها عبر سيرورة سيميوطيقية دينامية، تتجاوز حدود التجربة الذاتية لتلامس أفقاً إنسانياً وثقافياً أوسع.

نسق الدهر والزمان في سينيّة ابن زيدون

تتموضع، في هذا النَّسق، بنى دلالية تُسهم في تنظيم التجربة الشعرية، وتوجيه المعنى داخل النص؛ فالدهر، في القصيدة، لا يظهر بوصفه ظرفاً زمنياً محايداً؛ وإنَّما يتحول إلى علامة مركزيّة تتفاعل مع العلامات الأخرى، وتنتج دلالاتها عبر مسار سيميوطيقي متجدد، وفق التصور البيرسي للعلامة بوصفها فعلاً تأويلياً لا نهائياً[٣].

يفتتح **ابن زيدون** بناء هذا النسق عبر إسناد أفعال إنسانية إلى الدهر، يقول[٤]:

ما على ظنِّيَ باسُ يجرحُ الدهرُ وياسو

يحيل الفعلان **يجرح**، **ياسو** إلى علاقة سببية نفسية مباشرة، تجعل من الدهر فاعلاً مؤثراً في الذات الشاعرة؛ فهو هنا يشتغل بوصفه علامة رمزية؛ كون حضوره لاينهض على تشابه حسي، كما في الأيقونة، ولا على علاقة سببية فيزيائية مباشرة كما في المؤشر، بل يمكن القول: إنَّ حضوره ينهض على ترسُّخ ثقافي تداولي في الوعي الجمعي

[١] ينظر: قاسم، سيزا- أبوزيد نصر حامد، ***أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة***، ص ٢٦-٢٧-٢٨.

[٢] ينظر: دولودال، جيرار- ريطوري جوويل ، ***التحليل السيميوطيقي للنص الشعري***، تر: عبد الرحمان بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٨.

[٣] ينظر: بنكراد، سعيد، ***السيميائيات والتأويل***، ص ٢٨. وينظر: بنكراد، سعيد، ***السيموزيس والقراءة والتأويل***، مجلة علامات، ع١٠، ١٩٩٨م، ص ٤٦.

[٤] ياسو: يداوي. ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله، ***الديوان***، شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص١٣٨

العربي؛ إذ يُنظر إلى الدهر بوصفه قوة متقلّبة، قادرة على العطاء والمنع، والرفع والخفض[١]، وناقش القدماء والمحدثون أثر الدهر، ومقدار قوته، وفسروا تأثيره على القضاء والقدر[٢].

تتجلى فاعلية الرمز هنا في المفسِّرة التي يولدها النص لدى المتلقي؛ إذ يستدعي الدهر منظومة قيمية كاملة، تتصل بالمحنة، والتقلّب، وانكسار التوقعات، وهو ما ينسجم مع السياق النفسي للشاعر في محبسه؛ إذ يتعمّق هذا النسق عبر بناء جدلية داخلية بين الأمل واليأس، بوصفهما حالتين زمنيتين متعاقبتين، وليس مشاعر عابرة، يقول[٣]:

رُبَّما أَشرَفَ بالمرْ ءِ على الآمالِ ياسُ

تكوّن ثنائية الأمل واليأس، هنا، بنيةً زمنيةً داخلية؛ إذ يصبح الزمن علامة نفسية أكثر منه مقداراً، فيمكن عدّ هذه العلاقة مؤشِّراً دلالياً؛ لأنها تحيل على حالة واقعية عاشها الشاعر، فاليأس هنا ليس فكرة مجردة، بل هو أثر مباشر لتجربة السجن، والانكسار السياسي، والاجتماعي، يقول[٤]:

وعسى أن يسمح الدَّهر فقد طالَ الشِّماسُ

ويبلغ نسق الدهر ذروة كثافته الدلالية في قوله[٥]:

وكذا الدهرُ إذا ما عزَّ ناسٌ ذلَّ ناسُ

هنا يؤسس هذا البيت لبنية تقابلية هي **العز، الذل**، جعلها الشاعر ضمن نسق علاماتي واسع، فالدهر هنا لا يُوصف، بل يُقاس أثره عن طريق نتائجه الاجتماعية والإنسانية، ما يجعله علامة رمزية ذات امتداد تداولي، وهذا النسق التقابلي يعمل بوصفه مصفوفة تأويلية Interpretive Matrix، تنتج مفسِّرات متعددة بحسب موقع المتلقي؛ فالعلامة، وفق هذا التصور، لاتنتج دلالة أحادية مكتفية بذاتها ترتاح إليها الذات؛ بل تولِّد سيرورة تدليلية بالغة التنوع[٦]، التنوع[٦]، وهنا نجد إمكانيَّة قراءة النَّص في ضوء الصراع السياسي بالأندلس، أو قراءته بوصفه حكمة إنسانية عامة عن تقلّب المصائر، ويمكن لنا متابعة المتقابلات اللاحقة، مثل قوله[٧]:

ولَئِن أَمسَيتُ مَحبوساً فللغيثِ احتِباسُ

فهنا تعمل صورة احتباس الغيث بوصفها أيقونة قائمة على المشابهة؛ إذ يشبّه الشاعر حاله في السجن بحال المطر المحتبس في السماء، بيد أنَّ هذه الأيقونة لا تظل في مستواها التصويري، بل تتحول، عبر السيموزيز، إلى علامة مركّبة تجمع بين الأيقوني والرمزي؛ فالمطر في الوعي الثقافي رمز للفرج والخلاص، واحتباسه لا يعني انعدامه، بل تأجيله، يقول **بيرس:** "على الباحث أن يجتهد لتجنب الأثر بالتقليد والسلطة والأسباب التي تقوده إلى افتراض ما يجب أن تكون عليه الوقائع.. وعليه يكتفي بالملاحظة الأمينة والمستمرة للمظاهر"[٨].

---

[١] ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، ***تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ج٢،ص ٦٦٢، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٢م، ج٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

[٢] ينظر: بورتر، روي، ***فكرة الزمان عبر التاريخ***، تر: فؤاد كامل، ضمن سلسلة عالم المعرفة، ع١٥٩، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٨-١٩.

[٣] ابن زيدون، ***الديوان***، ص١٣٨.

[٤] المصدر السابق، ص ١٤٠.

[٥] المصدر السابق، ص ١٣٨.

[٦]. ينظر: إيكو، إمبرتو، ***التأويل بين السيميائيات والتفكيكية***، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٢٣.

[٧] ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٣٩.

[٨] بيرس، ***كتابات عن العلامة***، ص ٦٩.

وكذلك قوله[1]:

وبنو الأيام أخيا فكٌ سراةٌ وخساسُ

فتتحول الأيَّام إلى علامة جامعة تحيل على الزمن الاجتماعي، لا الزمني الفيزيائي، وهذا الاستعمال يُنتج دلالة رمزية مركّبة، تجعل من الزمن مقياساً أخلاقياً يكشف معادن الناس، فهذه العلامة تُنتج مفسِّرة تداولية Pragmatic Interpretant، تتصل مباشرة بتجربة الشاعر مع المحيط الاجتماعي الذي خذله في محنته.

يمكن لنا، عبر تتبع تمظهرات الدهر والزمان في **السينيّة**، تبيُّن أنَّ هذا النسق لا يؤدي وظيفة وصفية، بل يضطلع بدور بنيوي في إنتاج المعنى؛ إذ تتآزر العلامات الزمنية، وتنتظم داخل شبكة دلالية متماسكة، تجعل من الدهر فاعلاً سيميوطيقياً يوجّه مسار الخطاب، ويمنحه عمقه التأويلي، وبذلك، تتحقق الرؤية البيرسية التي ترى أنَّ العلامة ليست كياناً ثابتاً، بل حدثاً تأويلياً متجدداً، وأن المعنى لا يُستنفد في لحظة واحدة، بل يتولد عبر سيرورة سيميوطيقية مفتوحة، وهذا ما يجعل من تجربة **ابن زيدون** في السجن تجربة إنسانية قابلة لإعادة القراءة والتأويل عبر الأزمنة.

نسق السجن والطبيعة: سيميائيات الاحتباس والتحوّل في سينيّة ابن زيدون

يتبدّى نسقُ السجنِ والطبيعةِ في القصيدة بوصفه نسقاً علاماتياً مركّباً، تتداخل فيه التجربة المكانية القهرية مع استدعاءات الطبيعة بوصفها بديلاً حسياً، وتأويلياً عن العالم المحجوب؛ فالسجن، في هذه القصيدة، لا يُمثَّل تمثيلاً مباشراً، ولا يُختزل في حدود الجدران والقيود، وإنَّما يُعاد إنتاجه دلالياً عبر شبكة من العلامات الطبيعية التي تنتظم داخل سيرورة سيميوطيقية متفاعلة، تجعل من الاحتباس المادي حالة رمزية مفتوحة على التحوّل.

يتجلّى السجن بدايةً بوصفه حالة احتباس صريحة في قول الشاعر[2]:

ولَئِن أَمسَيتُ مَحبوساً فللغيثِ احتِباسُ

فتعمل لفظة **محبوساً** بوصفها علامة مؤشّرية تحيل مباشرة على واقع الاعتقال، وتستمد دلالتها من علاقة سببية قائمة بين العلامة وموضوعها، غير أنَّ **ابن زيدون** لا يكتفي بهذا المستوى الإشاري، فيقرن السجن باحتباس الغيث، لينقل التجربة من كونها حالة فردية مغلقة إلى صورة كونية قابلة للتأويل.

ويتحوّل احتباس الغيث إلى علامة أيقونية قائمة على المشابهة بين حالين: احتباس الجسد في السجن، واحتباس المطر في السماء، بيد أنَّ هذه الأيقونة لا تستقرُّ عند حدود التشابه، بل تنفتح على مفسِّرة رمزية تجعل من الاحتباس وعداً مؤجلاً بالفرج، لا نفياً له، لتكشف كثافة العلامات الطبيعية في السينيّة عن وعي حادّ بالحرمان الحسي الذي يفرضه السجن؛ فالشاعر الذي حُرم رؤية الطبيعة، يستعيدها بوصفها فضاءً تخييلياً يعوّض الغياب المادي، أو يضيف إليها، وفق تعبير **برغسون**، أشياء جديدة، تخلق المحتمل في الوقت الذي تخلق فيه الواقع نفسه[3]، ويتبدَّى ذلك في قول ابن زيدون[4]:

إن قسا الدهرُ فللماءِ من الصخرِ انبجاسُ

---

[1] أخياف: مختلفون، سراة: أشراف، خساس: أذلّاء ومنحطّون. ابن زيدون، ***الديوان***، ص١٣٨.

[2] المصدر السابق، ص ١٣٩.

[3] ينظر: زين، هارون، ***الحرية والمسؤولية***، تر: هيثم فرحات، مجلة الفكر العربي، ع٩٢، ١٩٩٨م، ص ١١٠.

[4] انبجس الماء إذا تفجَّر. ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٣٩.

تُبنى هذه الصورة على أيقونة قائمة على التشابه بين قسوة الصخر، وقسوة الواقع، إلَّا أنَّ انبجاس الماء منه يفتح العلامة على دلالة رمزية تتصل بإمكان الحياة في أقسى الظروف، وهنا تتحول الطبيعة إلى فاعل سيميوطيقي، لا يكتفي بعكس الألم، بل يؤوّله، ويعيد تنظيمه دلالياً؛ إذ يمرُّ التصور البيرسي للعلامة عبر استيعاب تقسيمه لمقولات الوجود، وتعريفه للعلامة، وهو بمنزلة الوجه المرئي لقاعدة فلسفية ثرية، فالتجربة الإنسانية كلها كيان منظم عبر مقولات ثلاث؛ الأصل والمنطق في إدراك الكون، وإدراك الذات، وإنتاج المعرفة وتداولها[١]، فتنتج هذه العلامة مفسِّرة زمنية وأخلاقية، تجعل من الصبر قيمة فاعلة، ومن السجن مرحلة انتقالية، وليس حالة نهائية، وهو ما جعل الشاعر يختم قصيدته بقوله[٢]:

وعسى أن يسمحَ الدَّهرُ فقد طالَ الشِّماسُ

ويتعمّق نسق السجن والطبيعة في صورة النبات والورد، كما في قوله[٣]:

يَلبُدُ الوَردُ السَبَنتي وله بعدُ افتِراسُ

يشتغل الوردُ هنا بوصفه أيقونة للقوة، ووصفه باللبود يوحي بالانكماش والتوقف، ما يجعله علامة على القوة المحبوسة والمعلّقة، ويتحوّل الافتراسُ إلى مؤشِّر على عنف خارجي متحفِّز، سواء أكان هذا العنف سياسياً أم اجتماعياً، وعن طريق هذا التداخل بين الأيقوني، والمؤشِّري، والرمزي، تتكوَّن علامة مركّبة تُحيل على ذات الشاعر نفسها، بوصفها قيمة إنسانية مهددة في فضاء السجن، ليتجلّى البعدُ القيمي لنسق السجن والطبيعة في قوله[٤]:

ويُفَتُّ المسكُ في التُربِ فيُوطا ويُداسُ

تقوم هذه الصورة على مفارقة دلالية بين المسك بوصفه رمزاً للقيمة والسمو، والتراب بوصفه رمزاً للدونية، وتعمل هذه المفارقة بوصفها علامة رمزية تعكس انقلاب القيم في زمن المحنة، حيث يُهان الشريف، وتُداس القيمة الإنسانية، فكأنَّنا أمام مفسِّرة تداولية أخلاقية، تجعل من السجن فضاءً كاشفاً لاختلال النظام الاجتماعي.

نسق العلاقات البشرية: سيميائيات الخذلان، والوشاية، والوفاء

يُعَدُّ نسق العلاقات البشرية من أكثر الأنساق العلاماتية كثافةً وإيحاءً في **سينيّة ابن زيدون**؛ إذ تتكثّف داخله خبرة السجن بوصفها نتيجة مباشرة لاختلال شبكة العلاقات الإنسانية المحيطة بالشاعر، فالمحنة، في هذا النسق، لا تُعزى إلى الدهر وحده، أو إلى تقلّبات الزمان وحسب، وإنَّما إلى البشر بوصفهم فاعلين دلاليين يشاركون في إنتاج القهر، أو تعميقه، أو مقاومته رمزياً.

تشتغل العلاقات البشرية في القصيدة بوصفها علامات اجتماعية تنتظم داخل سيرورة سيميوطيقية معقّدة، تتراوح بين الخذلان، والوشاية، والتربّص، من جهة، والوفاء، والنصح، والرَّجاء، من جهة أخرى، بالشَّكل الذي يسمح بقراءة القصيدة بوصفها خطاباً نقدياً للبنية الاجتماعية، والسياسية المحيطة بالشاعر.

يظهر الخذلان بوصفه علامة مركزية في هذا النسق، كما في قول الشاعر[٥]:

ما ترى في معشرٍ حالوا عن العهدِ وخاسوا

---

[١] للتوسع ينظر: الحداوي، طائع، ***سيميائيات التأويل- الإنتاج ومنطق الدلائل***، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، من ص ٢٥٦ حتى ٢٦٩.

[٢] الشِّماسُ: الانتظار. ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٤٠.

[٣] يلبد: يلازم عرينه، الوَرد: الأسد، السبنتي: الجريء. المصدر السابق، ص ١٣٩.

[٤] المصدر السابق، ص ١٤٠.

[٥] خاس الطعام إذا فسد، وخاس العهد إذا لم يلتزم به. ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٣٩.

تعمل جملة **حالوا عن العهد** بوصفها علامة رمزية تحيل على نقض القيم الاجتماعية، والأخلاقية التي تضبط العلاقات بين الأفراد، أمَّا لفظة **خاسوا** فتؤدي وظيفة تقويمية واضحة، تُنتج مفسِّرة أخلاقية تُدين الجماعة، ولا تشير هذه العلامة إلى واقعة تاريخية محددة، بل تنفتح على تأويل أوسع يجعل من الخذلان نسقاً اجتماعياً متكرراً، يتجاوز تجربة الشاعر الفردية إلى بنية ثقافية أكثر عموميَّة، وهذه المرحلة هي ما يمكن تسميتها بمرحلة الشاعرية المنهجية فالنقدية؛ التي تتحدَّد فيها أدوات تجربة الشاعر الثقافية، والنَّفسيَّة، واللغويَّة[١]، فيتصاعد هذا النسق في قصيدة **ابن زيدون** في تصوير الآخر البشري بوصفه مصدراً للتهديد، لا للأمان، يقول[٢]:

ورأوني سامِرِيّاً يُتَّقى منه المساسُ

هنا نجد في هذه الصورة علامة رمزية مركّبة؛ إذ يحيل **السامري** على شخصية ثقافية محمّلة بدلالات الضلال، والخطر في الذاكرة الجمعية، وعبر هذا الإحالة، يُعاد تمثيل الشاعر بوصفه كائناً مشوَّهاً في وعي الجماعة، لا لذنب اقترفه، بل بفعل الوشاية، والتأويل المغرض، وتنتج هذه العلامة مفسِّرة تداولية ديناميكية تكشف آليات الإقصاء الاجتماعي، فيتحوّل الفرد من ذات إلى موضوع، ومن إنسان إلى خطر محتمل، وهي آلية ملازمة غالباً لخطاب السلطة في سياقات القمع، فالموضوع الديناميكي، يشكل جزءاً لا يتجزأ من الواقع، بيد أنَّ هذا الواقع حدَّده **بيرس** ضمن ما هو مُتعارف عليه، وهو ما سيُدرَك عبر الممارسة السميائية اللا محدودة، لذلك، فالموضوع الديناميكي، ليس مرجعاً خارج سيرورة السميوزيس، إنه هو نفسه من إنتاج فعل العلامة[٣].

يتعمّق هذا النسق في صورة الذئب وطرق افتراسه، التي ترد في قول **ابن زيدون**[٤]:

أذؤبٌ هامَت بلحمي فانتِهاشٌ وانتِهاسُ

وتشتغل صورة **الذِّئب** بوصفها أيقونة للعلاقة الافتراسية؛ العلاقة القائمة على العنف، والمصلحة، والانتهاز، وهي تنتقل إلى مستوى رمزي يشير إلى بشرٍ فقدوا قيم الإنسانية.

ويُنتج التكرار الصوتي في **انتهاش وانتهاسُ** إيقاعاً يُعزّز الإحساس بالتكالب والاستمرارية، ثمَّ يواصل النسق كشف تناقض العلاقات البشرية في قوله[٥]:

كلُّهم يسألُ عن حالي وللذئب اعتساسُ

تُبنى هذه المفارقة على تعارض بين الخطاب والفعل؛ فالسؤال عن الحال يوحي بالتعاطف، غير أنَّ اقترانه باعتساس الذئب يفضح زيف هذا التعاطف، وتعمل هذه الصورة بوصفها علامة مؤشِّرية على نفاق اجتماعي؛ إذ تتوارى العدوانية خلف أقنعة السؤال والاهتمام.

في مقابل هذا الانهيار القيمي، يبرز نسق الوفاء بوصفه علامة مضادّة داخل العلاقات البشرية، كما في مخاطبة الشاعر **لأبي حفص** وقوله[٦]:

يا أبا حفصٍ وما ساواكَ فـــي فـهـمٍ إيـاسُ
من سنا رأيك لي في غسق الخطب اقتباسُ

---

[١] ينظر: اللبدي، أيمن، ***الشعرية والشاعرية***، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٦م، ص ٤٩-٥٠.
[٢] يشبه ابن زيدون نفسه بالسامري الذي عبد العجل في بني إسرائيل فعوقب بأن منع من مخالطة الناس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح: لامساس. ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٣٩.
[٣] ينظر: نيكول، إيفراريت- ديسمدت، ***العملية التأويلية- مدخل إلى سيميائية تشارلز ساندرز بيرس***، دار مارداغا، ١٩٩٠م، ص ٤٥.
[٤] الانتهاش هو الأخذ بالأضراس، الانتهاس هو الأخذ بمقدم الأسنان. ابن زيدون، ***الديوان***، ص ١٣٩.
[٥] اعتساس الذئب هو طلبه الصيد ليلاً. المصدر السابق، ص ١٣٩.
[٦] المصدر السابق، ص١٣٩.

يشتغل **أبو حفص** هنا بوصفه علامة رمزية إيجابية، تحيل على الحكمة، والنصح، والإنقاذ المعنوي، وتقوم صورة سنا الرأي، وغسق الخطب على ثنائية النور والظلمة، وهي ثنائية أيقونية شائعة، لكنها تُفعّل هنا ضمن سياق اجتماعي يمنحها بُعداً أخلاقياً واضحاً، ويمثِّل هذا الحضور الإنساني مفسِّرة تأويلية تؤكد أنَّ العلاقات البشرية، على الرّغم من اختلالها، لا تخلو من إمكانيَّة الخلاص.

وعليه، تتحول تجربة **ابن زيدون** في السِّجن إلى خطاب نقدي للعلاقات الاجتماعية، يكشف هشاشتها، ويعرّي آلياتها، ويؤسس لمعنى إنساني يتجاوز حدود المحنة الفردية.

خاتمة

أتاح البحثُ قراءة سينيّة **ابن زيدون** من منظور سيميائي بيرسي، مبرزاً كيفيَّة انتظام العلامات داخل النص في أنساق دلالية متفاعلة، تعمل معاً على إنتاج المعنى في مستويات متعددة، وعن طريق التحليل التطبيقي للأنساق الثلاثة الرئيسة: **نسق الدهر والزمان، ونسق السجن والطبيعة، ونسق العلاقات البشرية**، تمكّن البحث من استخلاص مجموعة من النتائج، منها:

–أظهرت الدراسة أنَّ العلامة عند **ابن زيدون** جزء من شبكة علاماتية دينامية تتفاعل ضمن نسق متكامل، فتسهم الأيقونات، والمؤشرات، والرموز، في تحويل التجربة الفردية للشاعر إلى بنية دلالية متجددة؛ فتبيَّنًا، مثلاً، توظيف الملاحظة البيئية، والطبيعة المحيطة به لتعميق أثر المحنة، وجعلها مسرحاً لإنتاج دلالات وجودية معقدة، يتقاطع فيها الزمان بالمكان، والتجربة الذاتية بالعمق النفسي، والاجتماعي.

– أبرز البحث أنَّ السيموزيز البيرسية أداة فعّالة لفهم سيرورة إنتاج المعنى في النص الشعري؛ إذ لا يقتصر التأويل على تفسير العلامة الفردية، بل يشمل، أيضاً، العلاقة الدينامية بين العلامة، وموضوعها، ومفسّرتها، وقد مكّن هذا المنظور من رصد كيفية تحوّل المحنة الفردية في السجن إلى طاقة دلالية غنية، تكشف عن خصوصية تجربة الشاعر من جهة، وتمكّن القارئ من تتبع العمليات التأويلية المستمرة التي تنتج المعنى داخل النسق من جهة أخرى.

–أظهر البحث، أيضاً، أنَّ اعتماد تحليل الأنساق، بدلاً من التركيز على العلامات المعزولة، يسمح بتقديم قراءة منوّعة للنصوص الشعرية، تكشف عن العلاقات البينية بين العلامات، وتبرز الروابط بين التجربة الشخصية للشاعر، والسياق الاجتماعي، والتاريخي الذي يعيش فيه، كما أتاح هذا النهج إبراز التنوع الأسلوبي والرمزي في السينيّة، وتقديم تصور منهجي يمكن الاستفادة منه في دراسة نصوص شعرية أخرى ضمن التراث العربي.

المصادر والمراجع

١- ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله، الديوان، *شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت*، ط٢، ١٩٩٤م.

٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم *مقاييس اللغة*، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٢م.

٣- ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت،١٩٧٥م.

٤- إيكو، إمبرتو، *التأويل بين السيميائيات والتفكيكية*، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٠م.

٥- بنكَراد، سعيد ، *السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس*، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت- الدار البيضاء، د.ت .

٦- بنكَراد، سعيد ، *السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها*، منشورات الزمن، الرباط- المغرب ، ٢٠٠٣م.

٧- توسان، برنار، ماهي السيميولوجيا؟، تر: محمد نظيف، دار إفريقيا الشرق، المغرب ، ٢٠١٦م.

٨- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

٩- جيرو، بيير، *علم الإشارة السيميولوجيا*، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع، الجمهورية العربية السورية، ط١، ١٩٩٦م.

١٠- الحداوي، طائع، *سيميائيات التأويل- الإنتاج ومنطق الدلائل*، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

١١- حنون، مبارك، *دروس في السيميائيات*، دار توبقال للنشر- سلسلة توصيل المعرفة، الدار البيضاء- المغرب ، ط١، ١٩٨٧م.

١٢- داسكال، مارسيلو ، *الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة*، تر: حميد لحميداني -مبارك حنون وآخرون، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب ، ١٩٨٧م.

١٣- دولودال، جيرار- ريطوري جووبل ، *التحليل السيميوطيقي للنص الشعري*، تر: عبد الرحمان بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٤م.

١٤- رويلي، ميجان، *دليل الناقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ٢٠٠٧م.

١٥- زيادة، معن- وآخرون، *الموسوعة الفلسفية العربية*، معهد الإنماء العربي، بيروت ، ١٩٨٨م.

١٦- علي، أحمد الشيخ، *الأسس المعرفية للسيمياء- بحث في التأصيل*، سلسلة دراسات سيميائية، دار دجلة الأكاديمية ، بغداد ، ٢٠١٩م.

١٧- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، القاهرة، د.ت.

١٨- قاسم، سيزا- أبو زيد، نصر حامد، *أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة- مدخل إلى* السيموطيقا، دار إلياس العصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٩- اللبدي، أيمن، *الشعرية والشاعرية، دار الشروق للنشر والتوزيع*، ط١، عمان، ٢٠٠٦م.

٢٠- مرتاض، عبد الجليل، *دراسة سيميائية ودلالية في الرواية والتراث، منشورات تالة*، د.ط، تونس، ٢٠٠٥م.

٢١- نيكول، إيفراريت- *ديسمدت، العملية التأويلية- مدخل إلى سيميائية تشارلز* ساندرز بيرس، دار مارداغا، ١٩٩٠م.

الدوريَّات:

١- بنكراد، سعيد، *السيموزيس والقراءة والتأويل*، مجلة علامات، ع١٠، ١٩٩٨م.

٢- بورتر، روي، *فكرة الزمان عبر التاريخ*، تر: فؤاد كامل، ضمن سلسلة عالم المعرفة، ع١٥٩، الكويت، ١٩٩٢م.

٣- زين، هارون، *الحرية والمسؤولية*، تر: هيثم فرحات، مجلة الفكر العربي، ع٩٢، ١٩٩٨م.